محاضرة فلسطين: الهوية والقضية

محاضرة النقاش

التاريخ: 11-12-2024

منظمة التحرير كانت خارج البلاد، ولم يكن الحكم العسكري يؤثر عليها لأنها كانت خارج البلاد.

لولا الاعتراف الدولي بمنظمة التحرير لما اعترف أحد بنا، وتحديدًا في خطاب “البندقية وغصن الزيتون” لأبو عمار، حينها لم تكن هناك سلطة ولا دولة ولا شيء. فأنت بحاجة إلى شيء أمام الدول للتعامل به.

لكن هذا لا ينفي هيكل منظمة التحرير، وتحديدًا هيكلها الأساسي.

نحن نتحدث عن الميثاق الوطني الفلسطيني الذي تأسس عام 1968.

لماذا استهلكنا أربع سنوات؟ سابقًا كان يُسمى القومية، وعند خسارة النكسة، وزلزلة المشروع القومي العربي السياسي، شعرت منظمة التحرير بالخذلان. خسرنا الضفة والجولان وسيناء، وتم تحويل الموقف من القومية الفلسطينية إلى الميثاق الوطني الفلسطيني، وهو عبارة عن 33 بندًا.

وأهم هذه البنود هو التحرير من خلال الكفاح المسلح، كما يحدد الميثاق من هو الفلسطيني، وهو كل شخص وُلِد في فلسطين ونَسَله من بعده.

وتم تحديد أن لغتنا هي العبرية، وهي لغتنا نحن، وليست لغة شيء آخر.

واللغة العبرية جذرها الآرامية والسارانية، وهي مشابهة جدًا.

الثلاث والثلاثون بندًا أصبحت سارية عام 1974، مع إعلان المبادئ أو النقاط العشرة أو البرنامج المرحلي. من أهم بنوده كان تغيير الكفاح المسلح، وإقامة الدولة الفلسطينية على أي أرض من فلسطين يتم تحريرها. لكن هذا التغيير أثار الجدل حول من هو اليهودي ومن هو الفلسطيني. تم إسقاط هذا البند، ولكن هذا لا يعني أننا تخلينا عن هويتنا الفلسطينية.

ضمن هذه التحولات، تحولت فكرة منظمة التحرير وبداياتها في السبعينيات. في نفس الفترة، أصبح خطاب أبو عمار بعد عشرين عامًا ليس اختراعًا، بل كان أساسه البرنامج المرحلي الذي تم تحديده في السبعينيات، ولذلك كانت أوسلو نتاجًا لهذه الاتفاقيات، وكانت عبارة عن مراحل.

كانوا يعتقدون أنه بالإمكان مقاتلة إسرائيل حتى تحرير كامل الأرض، ولكن الخطأ الكارثي كان تعديل الكفاح المسلح. وهنا تكمن الإشكالية، إذ لم تكن هناك خطة استراتيجية بعيدة المدى.

أوسلو كان خطأ فادحًا، ولكن هذا لا يعني أن الكفاح المسلح قد اختفى. فقد تم حذفه من الميثاق، ولكن لا يزال موجودًا على الأرض. بما أن الكفاح المسلح تم حذفه من الميثاق، فإنك تصبح “إرهابيًا” بموجب الأمم المتحدة.

خطاب أبو عمار في السبعينيات كان خطابًا ذكيًا، ورسخ بذور السلام في حينه. أساسه كان أن يستمر الكفاح المسلح كتكتيك، وليس كاستراتيجية، ولذلك لا يوجد شرعية قانونية للفلسطينيين من دون الكفاح المسلح، لأن كتائب القسام أو الكتائب في شمال الضفة هي عبارة عن جماعات مسلحة، وليست جيوشًا نظامية.

كان هناك مشاكل في مصر، مثل رسم صورة عبد الناصر على هيئة حمار في بور سعيد. وفي الأردن، كانت حرب أيلول، وكان هناك انفصال وقتال، وتم اغتيال وزير أردني ورئيس الوزراء الأردني باستخدام كاتم صوت، وقامت الحرب بين الفصائل الفلسطينية والأردنيين.

رسالة على الجسور: “الأردن أولًا” جاءت نتيجة أحداث أيلول الأسود.

من الحقبة الأردنية، كانت هناك مذبحة في تل الزعتر والنظام السوري كان له يد فيها، وكذلك اتفاقية سلامة الجميل. معركة “سلامة الجليل” كانت اتفاقًا بين الكتائب اللبنانية وبين الإسرائيليين، وكانت تهدف إلى تحفيز سلام لبنان من تدخلات الفلسطينيين أو الكتائب الفلسطينية.

في الثمانينيات، تم قصف مركز الأبحاث لمنظمة التحرير من قبل إسرائيل، وكان هذا المركز من أهم أرشيفاتنا. كتبنا موجودة ولكن يتم إنكارها، وأرشيفنا ضائع، ولكنه موجود.

في نفس الفترة، خرجت منظمة التحرير من لبنان بعد الاتفاقات مع إسرائيل، وتمت عملية صبرا وشاتيلا، حيث شارك الإسرائيليون في العملية من خلال دعم الكتائب اللبنانية.

حبيب الشرتوني هو الذي قام باغتيال بشير الجميّل، وكان لبنانيًا، وليس فلسطينيًا.

منظمة التحرير تفرقت بين تونس والجزائر واليمن وسوريا، لكن الكفاح المسلح لم يتوقف، بل استمر كتكتيك.